# العراق والسياسة الامريكية بعد عامين من احتلال الكويت

بعد عامين من غزو الكويت لابد من وقفه لتقيم السياسة الامريكية والكيفية التي عالجت بها اوضاع المنطقة وبالذات العراق منذ احتلال الكويت، مرورا بشن الحرب لاخراج القوات العراقية من الكويت وانتهاءاً بحالة العراق المحاصر اقتصاديا وسياسيا اليوم. فالسؤال الاساس الذي يتبادر للذهن هو : هل ان الحرب التي شنتها الولايات المتحدة باسم الامم المتحدة كانت مبررة وادت غرضها ؟

اذا كان المقصود من هذه الحرب فقط اخراج العراق من الكويت فهذا امر قد تحقق فعلاً ولكن السؤال الذي يتبعه، هل كانت الحرب ضرورية لاخراج العراق من الكويت ام كان بالامكان تحقيق الانسحاب العراقي دون حرب ؟

يقول الكاتب الامريكي وليم باف (الهيرالاد تربيون 27/7/1992)، " لم يكن غزو صدام ذلك الاجراء الهتلري من اجل السيطرة على العالم كما صوره بوش، وربما كان بالامكان معالجته من خلال الحصار والمقاطعة الدولية والعقوبات دون مضايقة جدية لاحد باستثناء الكويتين والايرانيين. فالبترول كان سيستمر ضخه الى ذات الاسواق، وحكام الكويت من شيوخ الصباح لم يكن لهم اصدقاء باستثناء قلة - وبالتاكيد لم يكن الناخب الامريكي احدهم".

واذا كان البعض (ومنهم الادارة الامريكية) يشك في جدوى الحصار والعقوبات في تحقيق انسحاب صدام من الكويت انذاك، فكيف نفسر ادعاء ذات الاوساط الامريكية بان الحصار الاقتصادي على العراق يهدف الى اسقاط صدام وسيستمر مادام هو في الحكم.

وفي الوقت الذي كان الشعب العراقي يعانى الكثير من النظام الدكتاتوري كانت واشنطن تقدم لصدام حسين الدعم المستمر طوال سنوات حكمه منذ 1979، واستمر هذا الدعم حتى بعد انتهاء الحرب العراقية الايرانية والى غاية غزو الكويت. ان هذا الشعب كان يأمل ان تنتهى الحرب - على الرغم من خسائرها الجمة - بأنهاء الدكتاتورية وقيام البديل الديمقراطي، ولكن وجد ابناء العراق انفسهم مرة اخرى يدفعون ثمن فواتير الحرب دماً ومالاً ويبقى صدام حسين في الحكم ويطلع عليهم وزير الخارجية الامريكي جيمس بيكر (في حديث مع اوزال - هيرالاد تربيون 19 حزيران 1992) يقول بان العراق غير مؤهل للديمقراطية، بل تذهب واشنطن اكثر من ذلك فتساعد على اجهاض انتفاضة الشعب العراقي في آذار 1991، وذلك بسماحها لصدام باستخدام طائراته وقواته لسحق الشعب الأعزل الذي صدق دعوات امريكا والغرب له بالتصدي للدكتاتورية والثورة. وحجة واشنطن ان الانتفاضة كانت ستأتي بنظام حكم يسيطر عليه الاصوليون الاسلاميون، ولسان حالها يقول ان الشر الذي تعرفه خير من بديل لاتعرفه.

واذا كان الشعب العراقي الضحية الاولى للحرب، فان شعب الكويت الذي عانى من الغزو والبعض منهم قاوم الاحتلال بجدارة وجد نفسه مرة اخري يخضع لذات الحكم العائلي الذي يرفض الاعتراف بحقه في الديمقراطية، بالاضافة الى تدهور الكويت اجتماعيا واقتصاديا وعودتها الى مجرد مشيخة بترولية بعد ان كانت مشروع دولة. كل هذا يدفع الفرد الكويتي للشك في حكمة قادته السياسية في التعامل مع صدام حسين ويتسأل هل استنفذت امريكا حقاً امكانية الحل السياسي والدبلوماسي لازمة الكويت مع العراق، ام ان الكويت اُستغل لجر العراق لحرب تنهي دوره ومستقبله الوطني والعربي.

- كان هدف الحرب المعلن هو تحرير الكويت ولكن هدفها غير المعلن شمل سقوط النظام العراقي وارادتها واشنطن حرباً حاسمة وسريعة وهكذا صورتها وسائل الاعلام الامريكية والغربية، فارتفعت شعبية جورج بوش في اعقاب الحرب لتصل اعلى نسبة يصلها اي رئس امريكي. ولكن سرعان ما ظهر ان الحرب لم تنتهي بعد،فصدام لايزال في الحكم والامال المعقودة على سقوطه عبر انقلاب عسكري مباشر لم تتحقق.

- فاذا كانت السياسة الامريكية واضحة في اهدافها قبل الحرب فانها منذ انتهاء حرب الخليج الثانية ووقف اطلاق النار في 28 شباط 1991، تتحرك برد فعل دون وضوح في استراتيجيتها العامة تجاه العراق. فتخلت عن انتفاضة الشعب العراقي بحجة الخوف من البديل الاسلامي او الفوضى والتقسيم، ولكن تحت ضغط الرأي العام العالمي الذي شهد عبر الكاميرات والمراسلين الاجانب المآسي التي يتعرض لها الاكراد في شمال العراق قبلت واشنطن فكرة مناطق امنة لحماية الاكراد، مما خلق واقعاً كردياً جديداً يحمل في طياته مخاطر التجزئة الامر الذي يناقض ادعاءات واشنطن بالحفاظ على وحدة الاراضي العراقية. ونظراً لان سكان جنوب العراق كانوا خارج دائرة الضوء الاعلامي فقد ترك مصيرهم للحرس الجمهوري فاضطر عشرات الالاف منهم الى اللجوء الى ايران والسعودية ليتحولوا الى مادة بشرية معطلة تعاني حالة اشبه بالاسر، وما تبقى منهم في الاهوار يتعرض للقصف والقمع الدائم.

- واخذت الاوساط الامريكية تتحدث عن الانقلاب العسكري القادم كمخرج من المأزق السياسي القائم في العراق، ومع كثرة الاحاديث عن محاولات الانقلابات الفاشلة ترك الشعب العراقي يتعلق بالمجهول الغامض، وكأن المطلوب والمقبول امريكياً هو مجيء صدام اخر بدل صدام الحالي. واعتمدت سياسة الحصار الاقتصادي كأداة لهذا الغرض، دون ان يكون هناك تصور عملي لدور الشعب العراقي في هذا التغيير او سقف زمني للحصار، الامر الذي جعل عمليا الشعب العراقي مجرد رهينة لا يفك الخناق عنه الابانصياع صدام لارادتهم او بقيام الشعب بالثورة وهذا ما يصعب حصوله بعد خيبة املهم نتيجة التخلي الغربي عن انتفاضة اذار.وبعد مضي اكثر من عام ونصف على الحصارتؤكد مختلف المصادر الامريكية الرسمية والاعلامية بان صدام اليوم هو اقوى منه من قبل سنة. وان استمرار الحصار الاقتصادي بشكله الحالي يؤذي الشعب العراقي ولايضر صدام الذي يحمل الغرب وامريكا مسؤولية المعاناة التي يعيشها الشعب العراقي، كما يستخدمها لتبرير الحصار المفروض على الشعب الكردي في الشمال.

## واشنطن والمعارضة العراقية

اما على صعيد التعامل مع المعارضة العراقية فقد كان الموقف المعلن للخارجية الامريكية هو عدم التدخل او الانحياز لاي طرف معارض ضد اخر (راجع تصريحات ديفيد ماك وديجرجيان) وبررت واشنطن عدم استقبال السيد مسعود البرزاني في العام الماضي الذي كان يرغب بزيارة بيكر على هذا الاساس وطالبته بان يحضر ضمن وفد عراقي متكامل. ان هذا الموقف المعلن يناقضه موقف امريكا العملي في ضرورة مراعاة المشاعر التركية تجاه المشكلة الكردية، اضافة الى تخوفها لا بل رفضها للتيار الاسلامي العراقي وهو الطرف الاقوى المعارض لنظام صدام طوال العقدين الماضيين. ولذا تغير الموقف الامريكي تجاه المعارضة العراقية عندما استطاعت القيادات الكردية طمئنة تركيا، وشكلوا بالتعاون مع بعض القوى العراقية المعارضة اطار عمل مقبول امريكياً تمثل بمؤتمر فيينا للمعارضة (16-19 حزيران 1992) حيث غيبت مشاركة القوى الاسلامية الرئيسة، كحزب الدعوة والمجلس الاعلى للثورة الاسلامية واليسار الديمقراطي والقومي. ان زيارة وفد مؤتمر فيينا الى واشنطن في اواخر تموز ومقابلته لوزير الخارجية والمسؤولين الامريكان يمثل تحولا وانحيازاً ملموسا في السياسة الامريكية تجاه المعارضة العراقية. فهو يعكس اهتماما امريكيا اكثر بالمعارضة الا انه بذات الوقت يساهم في فرض قيادة دون اخرى لهذه المعارضة العراقية الواسعة الامر الذي سيشق المعارضة. كما حالت ضغوط واشنطن على السعودية دون انعقاد مؤتمر ثان للمعارضة كان المفروض عقده خلال شهر آب في الرياض يضم التيارات الاسلامية والقومية والديمقراطية. واذا ما تواطئت امريكا على اجهاض انتفاضة اذار فانها مرة اخري تتهم بفرض قيادة عراقية، خاصة الطرف العربي منها، واستبعاد القوى الاسلامية العراقية والقومية العربية واليسارية المحسوبة على سوريا وايران، وهي بذلك تأمل بالانفراد في صنع القرار الخاص بمستقبل العراق. ونظراً لضعف ايران وسوريا وحاجتهما للتعاون مع امريكا في قضايا قطرية اخرى فمن غير المتوقع ان تتصدى هذه الدول للدور الامريكي، خاصة بعد ان نفضت السعودية يدها من التعاون معهما في الموضوع العراقي.

ان عداء الادارة الامريكية لكل ما يشم منه رائحة اسلامية امر غير مبرر خاصة بالنسبة للعراق حيث لاول مرة وجد التيار الاسلامي نفسه بسبب سياسات صدام مستعداً للتعاون مع الغرب ويقبل اللعبة الديمقراطية متخليا عن شعارات الثورة والكفاح المسلح لصالح صناديق الاقتراع، كما تجل ذلك من خلال زيارة السيد محمد باقر الحكيم، رئيس المجلس الاعلى للثورة الاسلامية الى كل من الرياض والكويت، وكذلك برنامج حزب الدعوة الصادر في مطلع عام 1992.

ان الثقة التي تحدث بها ممثلوا مؤتمر فيينا باعتبارهم الممثلين الشرعيين للشعب العراقي مستمدة ليس من تفويض الشعب العراقي او من "الشرعية الثورية" التي تكتسب بالنضال والتضحية، بل من رضى الامريكان. واذا كان لزعماء الاكراد حق ادعاء تفويض الاكراد فان السادة الاخرين لايمثلون الا انفسهم وربما الان رغبات الادارة الامريكية. ان السؤال الذي يطرح نفسه الان لماذا اختارت امريكا هذا الطرف العراقي من عرب العراق، وهي

تدري بانهم لايمثلون ولايتمتعون بتأييد شعبي داخلي العراق بل ان جل قوتهم مستمدة من تأييد واشنطن لهم، واذا ما ارادت امريكا استمرار الحياة فيهم فعليها الاستمرار باسنادهم الى حد التورط او تتحمل تبعات فشلهم. ويبدو ان السيناريو الجديد المطروح في غياب الحل الامثل - الانقلاب العسكري، تكرار تجربة الشمال في جنوب العراق، اي اقامة منطقة امنة تشمل جنوب العراق يتم اقامتها تحت شعار تطبيق قرار 688 لحماية الشيعة. وفك الحصار عنها من خلال الدعم الامريكي والغربي واسناد قيادتها بالمال والسلاح، وهذا يعني عمليا تقطيع اوصال العراق باسم الخلاص من صدام حسين.

ان تخبط السياسة الامريكية في التعامل مع العراق يبدو اكثر وضوحاً في مسألة تفتيش وزارة الزراعة العراقية من قبل مفتشي الامم المتحدة، حيث انتهى القرار، بدون شك، لصالح صدام حسين الذي استطاع ان يفرض شروطه في استبعاد اي عنصر من دول التحالف في فريق التفتيش. استطاع صدام حسين كسب الجولة لان واشنطن لم تحصل على تأييد اوربا، كما لم تكن مستعدة لتحمل نتائج رفض شروط صدام الا وهي شن حرب تنتهي باقصائه. قد تستطيع امريكا ان تنزل ضربة عسكرية موجعة بالعراق يتحملها الشعب ولكنها بدون شك غير قادرة ان تكلل هذه الضربة باسقاط صدام الامر الذي سينهي العملية دون تحقيق هدفها وبالتالي على بوش ان يواجهة نتائج الفشل بما في ذلك خسارته الانتخابات الرئاسية القادمة.

ان مأساة الشعب العراقي تتجلى اليوم اكثر من اي وقت كرهينة يتقاذفها صدام وبوش، فكلا الطرفين غير معني بمصلحة الشعب العراقي وارادته الحرة، كما ابتلى هذا الشعب بقيادات معارضة مستعدة البعض منها بالتضحية بالثابت الوطني المتمثل باستقلال العراق وحريته لصالح مكاسب شخصية او فئوية او طائفية او قومية شوفينية عربية كانت ام كردية.

**(الملف العراقي، العدد 9 - آب 1992)**

❋ ❋ ❋